‘Yandoto Academic Journal of Arabic Language and Literature
ISSN: 2714-4712 (Print & Open Access)

صور من إسهام الشعر العربي في توفير الأمن والسلام في الماضي والحاضر

إعداد:
الدكتور شعيب علي دكو، وسنوسي أبوبكر

ملخص البحث:

لعب الشعر دورا ريادا طوال القرون يضرب طبول الأمن والسلام من الجاهلية إلى الإسلام، ومن الأموية إلى العباسية، وحتى الوقت الراهن العصر الحديث عصر الحضارة والتقدم التكنولوجي، والتطور الثقافي، والاحتكاك الاجتماعي، والاقتصادي، و السياسي على حد سواء وكانت مزامير الشعر ونغماته تنطق بلسانها سلامة الأمم، ومضامين المجتمع، وهو سلاح ذو حدين فإن الكفار استخدموا هذا السلاح في الهجوم على الرسول صلى الله عليه وسلم، واستخدمه شعراء الصحابة لتوفير الأمن في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .وفي هذا المنظور يعترف الشعر بتوفير الأمن والأمان في كل مكان وزمان، سواء بسواء. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخوف بالمفهوم الحديث يعني التهديد الشامل، سواء من النواحي الدينية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية، الداخلية منها والخارجية. وعلى هذا الأساس تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور الشعر العربي في تحقيق الأمن والسلام في المجتمع الإنساني بين الماضي والحاضر، لا سيما في البيئة العربية والنيجيرية. وتتمثل هذه المقالة في العناصر التالية:

الشعر لغة واصطلاحا.

مفهوم الأمن وأنواعه.

الشعر وتوفير الأمن في الماضي والحاضر.

الخاتمة.

الهوامش والمراجع.

الشعر لغة واصطلاحا:

الشعر لغة:

الشعر من: شَعَرَ به وشَعُرَ يَشْعُر شِعْراً وشَعْراً وشِعْرَةً ومَشْعُورَةً وشُعُوراً وشُعُورَةً وشِعْرَى ومَشْعُوراءَ ومَشْعُوراً كله علم. وليت شعري أي ليت علمي أو ليتني علمت. قال سيبويه قالوا ليت شعرتي فحذفوا التاء مع الإضافة للكثرة كما قالوا ذهب بعذرتها وهو أبو عذرها فحذفوا التاء مع الأب خاصة.

ويتعدى باللام، وعن، وبدونهما، حكى اللحياني عن الكسائي ليت شعري لفلان ما صنع، وليت شعري عن فلان ما صنع، وليت شعري فلانا ما صنع. وأنشد:

يا ليت شعري عن حماري ما صنع * وعن أبي زيد وكم كان اضطجع وأنشد:

يا ليت شعري عنكم حنيفا * وقد جدعنا منكم الأنوفا

وأنشد:

ليت شعري مسافر بن أبي عم * رو وليت يقولها المحزون

وأشعره الأمر وأشعره به أعلمه إياه وفي التنزيل:)قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ سورة الأنعام، الآية: ١٠٩ أي وما يدريكم. وأشعرته فشعر أي أدريته فدرى، وشعر به عقله، وأشعرت بفلان اطلعت عليه، وشعر لكذا إذا فطن له، وشعر إذا ملك.

وقل الأزهري: الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعره غيره، أي يعلم. وشعَر الرجل يشعُر شِعرا وشَعرا قال الشعر. وشَعُر أجاد الشعر، ورجل شاعر والجمع شعراء. قال سيبويه: شبهوا فاعلا بفعيل كما شبهوه بفعول كما قالوا: صبور وصُبُرٌ واستغنوا باعل عن فعيل في أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعا موقعه وكسّر تكسيره ليكون أمارة ودليلا على إرادته وأنه مغن عنه وبدل منه. وسمي الشاعر شاعرا لفطنته.[١]

واصطلاحا:

يوجد العديد من التعريفات للشعر كل تعريف مبني على رؤية صاحبه للشعر، ومن هذه التعريفات، تعريف ابن منظر الإفريقي بأن الشعر: (منظوم القول غلب عليه، لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا)[٢] بينما عرف الفيومي الشعر العربي على أنه: (نظم مقف وموزون، ومركب بصورة متعاضدة.) ووصفه المظفّر بن الفضل على أنه: (ديوان الأدب، وفخر العرب، وبه تضرب الأمثال، ويفتخر الرجال على الرجال، وهو قيد المناقب ونظام المحاسن، ولولاه لضاعت جواهر الحكم، وانتثرت نجوم الشرف، وتهمت مباني الفضل، وانطمست أعلام الكرم، ودرست آثار النعم. شرفه مخلد، و سؤدده مجدد، تفنى العصور وذكره باق، وتهوى الجبال وفخره إلى السماء راق، ليس لما أثبته ماح، ولا لمن أعذره لاه.)[٣]

مفهوم الأمن وأنواعه:

مفهوم الأمن:

الأمن عبارة عن الممارسات التي تضمن التخلص من المخاطر التي تهدد السلامة، ويعتبر الأمن مسؤولية اجتماعية وعلمية مقصودة يقوم بها الأشخاص لتوفير الحماية لأنفسهم وغيرهم، حيث يبعثون الراحة والطمأنينة في نفوسهم وقلوبهم وقلوب الآخرين، مما يفر لهم من الاستقرار اللازم لضمان استمرار وديمومة عمليات التنمية والتطور والعمل والإنتاج، عن طريق اتباع سبل وطرق إجراءات الأمن والسلامة المختلفة في الحياة لحماية الأنفس والأرواح والأملاك وغيرها، ومن أهم أنواع الأمن هو أمن الدولة أو الأمن القومي، الذي

هو عبارة عن حماية الدولة وأفرادها من أي مخاطر تهدد صحتها وسلامتها ومستقبلها ومستقبل أبنائها، ويعرف في السياق العالمي والدولي على أنه قدرة الدول على الحفاظ على حدودها وكيانها وتماسكها وترابطها الداخلي والوظيفي مستقلا، والوقوف في وجه قوى التحكم والسيطرة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي. أو أنه درجة من الإدراك التي تصلها أجهزة الدولة المختصة وتترجم في شكل إستراتيجية تقوم على الحفاظ وتطوير الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية في المجتمع. [٤]

فلقد امتن الله عز وجل على الإنسان بنعمتي الغذاء والأمن، قال تعالى (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ *الذي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ). سورة قريش، الآية: ٣ –٤

أنواع الأمن:

من خلال ما سبق سرده من تعريف الأمن ندرك جليا أن للأمن أنواعا منها:

– الأمن العسكري:

ويتمثل في القدرات الدفاعية والهجومية التي يمتلكها الدولة لحماية نفسها عن الهجوم المسلح.

– الأمن السياسي:

ويعني السلام والاستقرار التنظيمي الهيكلي الداخلي للدولة، وذلك في نظم وأيديولوجيات واستراتيجيات سليمة تستند إليها الدولة وتستمد منها شرعيتها.

– الأمن الاقتصادي:

يتعلق بالموارد الاقتصادية، والمادية، والطبيعية، والبشرية، والأسواق التي تمتلكها الدولة والتي تشير إلى مستوى رفاهيتها وقوتها.

– الأمن الاجتماعي:

يخص قدرة المجتمعات على الحفاظ على استقرارها الداخلي والعلاقات بين أبناءها والحفاظ على الأمن الداخلي، وتحقيق آمالها في مجتمع خال بشكل نسبي من الجرائم بأنواعها المختلفة.

– الأمن البيئي:

ويتمثل في المحافظة على المجال الحيوي للدولة.

ولتحقيق هذه الأمن العام في المجتمع الإسلامي أمر الله سبحانه وتعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين بإعداد القوة وبذل ما في الوسع والطاقة لذلك فقال تعالى: وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ.) سورة الأنفال، الآية: ٦٩

وهذا ما يعرف بالسلم المسلح، أي أن الدولة إذا كانت مسلحة قادرة على الدفاع عن نفسها يرهبها أعداؤها فلا يحاربوها، وأما إذا كانت فارغة من عدة وعتاد وليست قادرة على رد أعدائها أغراهم ذلك إلى الهجوم عليها، فيختل نظامها أمنها العسكري، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي.

صار الشعر منذ الجاهلية رمزا للأمن والسلام، انطلاقا من سوقي عكاظ وذي المجاز، مما جعل الشعراء يتباهون بمواهيبهم وموثوقون بنوال قريحتهم الفكرية والثقافية، وقد نجى جمع غفير من الشعراء والأدباء، من ضيق السجن إلى ساحة الحرية، ومن غيظ الأمراء إلى عطاياهم الغدقة، ومن لهب الحرب إلى تعهدات الصداقة والزمالة، إنه الشعر الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم وإن من الشعر لحكمة[٥] وقال جميل بثينة في الطويل :وهو يؤكد كيف أصبح البغض حبًا، والكراهية مودة، والعداوة سلامة، والحرب أمناً فقال:

وأول ما قاد المودة بيننا * بوادي بغيض يا بثين، سباب

وقلنا لها قولا، فجاءت بمثله * لكل كلام ، يابثين جواب [٦]

الشعر وتوفير الأمن في الماضي والحاضر:

كان العرب في الماضي يتمتعون بصلاقة ذهنية وفطانة ثاقبة تنير لهم الطريق وتحدد مصيرهم السياسي والاجتماعي مما جعل العرب يعتمدون على الشعر أحيانا في حل بعض مشاكلهم وإستراد أمنهم كما هو ظاهر لدى النابغة الذبياني حيث اعتمد على أبياته الراقية اللطيفة المشهورة بالذبيانية في رد صفائه وأمنه عند ملوك الغساسنة[٧] :فمنها:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصبُ

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي ويقشبُ

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهبُ

لئن كنت قد بلغت عني خيانة لمبلغك الواشي أغش وأكذبُ

ولكنني كنت امرأ لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهبٌ

وقد أصبح النابغة في هذا العصر الجاهلي علما في دنيا الشعر وفي أشعاره نفخات من حياته وما يحيط به من تلك المحتمع ويمكن أن نلخص جوه السياسي بثلاث نقاط– :

حرب عظيمة فرقت بين أبناء عمومة عبس و ذبيان وذلك من أجل تصرف طائش أثناء سباق بين الفريقين . وقيامها واستمرارُها أربعين سنة هو أمر طبيعي في ذلك العصر الذي كان فيه الحلم عملة نادرة مما دعا العرب أن ينصبوا الحلم سيّدا على جميع أخلاقهم.

احتكاك ذبيان المتواصل مع الغساسنة مما حول شاعرنا إلى منصب دبلوماسي مشفق يحاول تهدئة الأجواء بين الأعراب الجاهليين) ذبيان الذين أحرقت قلوبهم حياة البادية وشظفها (وبين العرب المسيحيين الغساسنة المتحضرين الذين أتخمتهم النعمة والرفاهية.

منافسة عظيمة وشرسة لكنها مثمرة أدبيا بين الحيرة وغسان استغل فيها الشاعر منزلته عند الاثنين كما أن الطرفين استغلا شاعرنا لنشر أمجادهما. فقصور الأمراء صارت أندية للشعراء والخطباء يروون صورة الحياة ومصير الدولة والأمة، ويوجّهون أهل الحل والعقد على الصغير والكبير من الخواطر والكوارث مما جعل نصر بن سيار الليثي الكناني المتوفي131 هـ الموافق748 م،[٨] قد هاله أمر العباسيين نحو الدولة الأموية يقول:

ابلغ يزيد وخير القول أصدقه وقد تبينت ألا خير في الكذب
إن خراسان أرض قد رأيت بها بيضا لو أفرخ قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت لمّا يطرن وقد سربلن بالزغب
فإن يطرن ولم يُحتل لهن بها يلهبن نيران حرب أيّما لهب[٩]

فلم يمدح بأحد لأنه كان مشغولا بمجادلة الخوارج في العراق فاستغاث بآخر خلفاء بني أمية في دمشق مروان بن محمد .وأعلمه حال أبي مسلم، وخروجه، وكثرة من معه، ومن تبعه .وأخبره بغوائل الفتنة القائمة ودواهي الكارثة القادمة، إن لم ينجده بمدد من عنده .فكتب شعرا ينذره ويحذره:

أرى خلل الرماد وميـض جمر ويوشك أن يكون له ضرام
فإن النار بالعودين تُذكى وإن الحرب مبدؤها كلام
فإن لم يطفئها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فقلت متعجبا يا ليت شعري أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يقظت فذاك بقاءُ مُلكٍ وإن رقدت فاني لا أُلام
فإن يك أصبحوا وثووا نياماً فقل قوموا فقد حان القيام
ففرّي عن رحالك ثم قولي على الإسلام والعرب السلام[١٠]

ولكن الاقتتال بين القيسية واليمانية حصل في نفس الفترة وانشغل الخليفة في انهاء الاقتتال عن نصرة واليه نصر بن سيار .وعندما قطع الأمل وفقد الرجاء فأخذ يبث همومه وشجونه إلى العرب في المدينة، محاولاً أن يستثمر نخوتهم الدينية وعزتهم القومية وناشدهم أن يكفوا عن الاقتتال فيما بينهم وأن يجتمعوا على

كلمة سواء، توحد سواعدهم وقلوبهم للوقوف بوجه أبي مسلم وخطره الذي أصبح يهدد وجودهم ومصيرهم فكتب يقول شعراً:

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتها أن يغضبوا قبل أن لا ينفع الغضبُ
ما بالكم تلقمون الحرب بينكمكأن أهل الحجا عن فعلكم غُيُبُ
وتتركون عدواً قد أظلكم فيمن تأشبَ لا دين ولا حسبُ
ليسوا إلى عرب منا فنعرفهمولا صميم الموالي إن هُمُ نُسبوا
قوم يدينون ديناً ما سمعت به عن الرسول ولا جاءت به الكتبُ
مَمَنْ يكن سائلي عن أصل دينهم فإن دينهم أن تُقتلَ العربُ [١١]

وكانت قصيدته أول إشارة للبيب وانذار عاقل للأمويين من خطر قيام الدولة العباسية وسقوط الدولة الأموية حين ذاك.

دور الشعر في توفير الأمن في نيجيريا:

لكل بلد تقاليده وعاداته سواء تتماشى مع العقيدة أم لا !توافق الشريعة الغراء أم تخالفها فالمهم أن الشعر يحارب كل الجبن والخوف وكافة الرزائل ويشجع الأخلاق والرجولة والإنسانية والفضيلة، فالأشعار التي يتغناها الشعراء في هذه البلاد باللغة العربية تظهر جليا الحاجة القصوى لمحافظة الأمن وصيانة أسسه وأركانه يقول عيسى ألبي) الدكتور (في قصيدته)هذا هو الإسلام)"[١٢]

قل إن قولك في المحافل ينفع وبه تكف به الفساد وتمنع
الشعر ليس بنافع ما لم يكن نحو الفصيلة والهداية يدفع
إن القريض إذا تعدد وزنه من دون معنى فالنباح لأنفع
الخلق في الدنيا شعار فضيلة الخلق زين المرء دوما يرفع
إن انهيار الخلق في أجيالنا يبقى نفوسا في المعاصي ترتع

إلى قوله:

والكبرياء على العباد تطاول والذلة الشؤمى تهين وتدفع
إن الفظاظة قسوة ممقوتة واللين أطيب عنبر يتضوع
والحلم والصفح الجميل شجاعة إن الحليم بلا جدال أشجع
والجود والبذل الصحيح وقاية للمرء من لوم يشين ويوجع
هذا هو الإسلام في إيماننا سيرو إلى النو الذي لايمنع

الأبيات الخمسة الأولى توضح نمط الشعر وغاياته من القضاء على الفساد وينادي بالهداية وبالوحدة والتلاحم وعدم التفرقة – القبلية أو العنصرية أو الجنسية بمختلف اللغات .وأن حفظ الأمان وعدم تضيعه من الخصال النبيلة والوفاء بالعهد في دنيا البشر وأن الأخلاق والمكارم تثبت وجود الإنسان في هذه المعمورة ، وعدمها رسالة ضياء للبشرية وللكائنات على حد سواء.

في الأبيات الخمسة الأخيرة إلتفت الشاعر واستخدم كلمات زاجرة مثل الكبرياء، والفظاظة، قسوة، ممقوتة، ليأكد دور الشعر ومساهمته نحو السلام والأمن والأمان في كل وقت وحين .ثم استخدم ألفاظ أخرى لطيفة ولينة مثل الحلم، الصفح، والجود والذل، حين ينادي إلى التفادي لتلك الرزائل والأخلاق السيئة.

وله قصيدة أخرى في هذا المجال يقول فيها:

نيجر يامني إليك سلام لا تستطيع نعوتك الأقلام
وطن كبير فيه أعظم أمة ولها لسان واحد وكلام
هي في التقدم لاتجارى رفعة ولها بنون صالحون كرام
في أرضها كتب وفيها نعتها فاقرأ ولكن لاأتاك ختام
وسماؤها إن أرعدت أوأبرقت فلها مياه لاتضن سجام [١٣]

فالشاعر ابتدأ قصيدته بإلقاء السلام على البلاد وذكر نعوته التي تعجز الأقلام عن تسجيله لكثرته وسعه وتفاقم هذا الوطن الكبير، ثم حرك لسانه ليعبر عن وحدة الأمة وتلاحم المجتمع النيجيري، مع ما له من كثرة القبائل والأجناس المختلفة وأن السلام والأمن والهدوء هو الذي يغشى سمائه وأرضه وعبر بالبرق والماء العذب الغدق.

فالشيخ آدم عبدالله إلوري له باع في هذا الإطار حيث كانت أشعاره ذات الصدى والمصداقية في توفير الأمن والأمان في البلاد وكذلك أشعار بني فودي وأعوانهم.

الخاتمة:

هذه الورقة عالجت مسألة من المسائل التي طال التطرق عليها منذ أمد بعيد بحيث كان شعراء الجاهلية يستخدمون سلاح الشعر في إيجاد الأمن وإثبات الأمان وكذلك الشعراء الاسلامي منذ عصر صدر الإسلام حتى عصر الحديث، فقد عرضنا في هذه الورقة صورا من أشعار النابغة الذبياني وجميل بثينة في إثبات دور الشعر في تحقيق الأمن والسلام، ووصل الأمر إلى قصر الخلفاء والأمراء وغيرهم هكذا كان الأمر يتقدم أمما وأجيالا حتى وصل إلى عقر ديار نيجيريا. فقصيدة عيسى ألبي خير شاهد على أن الشعر سلاح

ذو حدين إذا استخدم وأحسن الإستخدام بسط الأمن ونال القلوب وقارها ورضاها، وبالعكس تكدر الأمة ويقع العيش في الضنك والظلام المميت.

المراجع والهوامش:

١ – ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى بلا تاريخ، حرف النون، مادة (أمن)، ج: ٤ ص: ٤١

٢ – ابن منظور، المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

٣ – maudoo3.com موقع إلكتروني، تاريخ الزيارة: ٢٠١٧/٠٧/١٢م.

٤ – طارق رمضان زنبو، الأمن القومي العربي من منظور السياسة الخارجية الليبية رسالة المجستير، معهد الدراسات العربية قسم اللغة العربية، الجماهرية الليبية، ٢٠٠٣م، ص.155 :

٥ – عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري) المتوفى730)هـ ،كشف الأسرار عن أصول فخرالإسلام، للبزدوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى،1997،ص.160 :

٦ – مهدي محمد ناصر الدين، شرح ديوان جميل بثينة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، 1987ص.13 :

٧ – محمد سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، مطبعة قدس دار المدني جده، دون ذكر التاريخ والطبع، ص.51 :

٨ – هو آخر خلفاء بني أمية في خراسان مرض في الري ثم رحل إلى ساوة فمات فيها يوم 12 من شهر ربيع الأول سنة 131 هـ و عمره 85 سنة و كان موته فدلالة على انتهاء الدولة الأموية.

٩ – مأمون غريب، جرائم غيرت مجرى التاريخ الإسلامي، دار الآفاق العربية، دون ذكر التاريخ والطبع، ص.117 :

١٠ – المرجع السابق، ص.118–117 :

١١ – المرجع السابق نفسه

١٢ – هو عيسى ألبى أبوبكر، ولد في غانا بمدينة كماسي، عام1953 م ودرس في جامعة بايرو كانو، وعمل محاضرا في جامعة عثمان بن فودي. ثم انتقل أخيرا إلى جامعة إلورن في شمال نيجيريا، أنظر مجلة الأصالة، العدد4 ،جامعة الحكمة، إلورن.2013 ص.29–27

١٣ – جامعة الحكمة إلورن نيجيريا، مجلة الأصالة، العدد 4 ،ج 1،قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية العلوم الإنسانية،2013م، ص.27–26 :